قصّة داود

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

نبيُّ الله داود هو نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، ومن سبط يهوذا بن يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام أجمعين.

وهو أحد الرسل الذين أنزلت عليهم الكتب السماوية، وكتابه هو الزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55].

بنو إسرائيل:

بعد موت موسى أرسل الله أنبياء كثيرين لبني إسرائيل لا يعرف عددهم إلا الله وحده. وروى أبو هريرة، عن النبيِّ ﷺ: أنَّه قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ.**»[1]..

وبعد أن دخل بنو إسرائيل لفلسطين بَقَوْا نحو(356) سنة يرعى أمرهم قضاة لا ملوك، ويسمَّى الحكم في هذه الفترة بفترة: «حكم القضاة». وفي هذه الفترة دبَّ فيهم الوهن وفشت فيهم المعاصي والمنكرات، وضيَّعوا أمر شريعتهم.

وكانت الأنبياء التي تأتيهم في تلك الفترة يقدِّمون النصح والإرشاد لبني قومهم. وفي بعض الأحيان كانوا يقومون بأمر بني إسرائيل مكان

---

(1) ذكره مسلم في صحيحه.

القضاة. وكثيراً ما كان يلاقي الأنبياء عدم احترام وتقدير من بني إسرائيل. ولم يكتف هؤلاء بذلك، بل كثيراً ما عذَّبوهم واضطهدوهم وأهانوهم وأساءوا إليهم.

فسلَّط الله عليهم هجمات جيرانهم من العمالقة والفلسطينيين والآراميِّين. وكانت الحروب سجالاً بينهم، فتارة يغلب جيرانهم، وتارة يغلب اليهود.

تابوت العهد:

كان من عادة بني إسرائيل إذا ما توجَّهوا لملاقاة الأعداء ومقاتلتهم، أن يقدِّموا في معاركهم تابوت العهد، ويضعونه في مقدِّمة الجيش، ويستبسلون في حراسته، وينتصرون ببركته. وهو صندوق خشبيٌّ فيه ألواح موسى - التوراة الحقيقيَّة - وعصاه وبقيَّة من وصايا هارون.

وحينما كثرت فيهم المعاصي، أراد الله أن يؤدِّبهم فسلَّط عليهم الأعداء. وفي إحدى المرَّات التي أرادوا فيها الحرب، قدَّموا التابوت ولكنهم لم يقوموا بحراسته كما يجب، فوقع في أيدي أعدائهم. وأخذه الأعداء وأخفوه عندهم ولكنهم لاقوا الويلات وتفشَّت فيهم الأمراض والعاهات من جراء وجود تابوت العهد بينهم.

فتحيَّروا، وقدَّر الله أن كانت عندهم امرأة من نساء بني إسرائيل من أولاد الأنبياء. فقالت لهم: إنَّكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم، فأخرجوه عنكم. وعملوا بنصيحتها فَأَتَوْا بعربة وحملوه عليها ثم علَّقوها على ثورين وضربوا جُنوبهما، فأقبل الثوران يسيران ووكَّل الله بهما أربعة من الملائكة تسوقهما.

وفي تلك المدَّة التي فُقِدَ فيها التابوت، عانى بنو إسرائيل من ذلٍّ الأعداء، بعد أن خسروا المعركة، ومات ملكهم. فأصبحوا من دون حاكم كالجسد بلا رأس.

طالوت ملكاً:

ظلَّ بنو إسرائيل على حالهم حتى بعث الله إليهم نبيًّا من الأنبياء، يقال له: شمويل ويسمِّيه أهل الكتاب: صموئيل.

فطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكاً منهم ليقاتلوا معه الأعداء. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ﴾ [البقرة: 246].

وحينما رأى نبيُّهم شموئيل منهم الجِدَّ، أخذ عليهم الميثاق، على الطاعة والجهاد، وسأل الله أن يبعث لهم ملكاً.

وأوحى الله إلى شموئيل أنه سيعيِّن عليهم ملكاً، وهو رجل عاديٌّ. ومن صفاته: أن حباه الله تعالى زيادة في رجاحة العقل، وزيادة في الطول. ولكنَّه رجل ليس لديه المال، الذي اعتاده بنو إسرائيل في من يتولَّى ملكهم.

وأخبر شموئيل علية القوم بما أوحى الله إليه، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾ [البقرة: 247]. ومن صفاته كذا وكذا.

فهل فرحوا بما قيل لهم ؟!

بالطبع لا؛ بل اعترضوا على الأمر الإلهي كعادتهم.

وقالوا لنبيِّهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

وقيل: إنَّ اعتراض بني إسرائيل على طالوت، لأنه لم يكن من سبط النبوة، أو من سبط المملكة التي اعتاد بنو إسرائيل أن تأتيهم الأنبياء والملوك من نسلهما. وكان سبط النبوة: سبط لاوي بن يعقوب. ومنهم: موسى وهارون. وسبط المملكة: سبط يهوذا بن يعقوب. ومنهم: داود وسليمان. بينما كان طالوت من سبط بنيامين بن يعقوب.

وفي هذه الأثناء قدر الله أن تضيع حيوانات لأبي طالوت فأرسله والده وغلاماً له للبحث. وبينما هما يسيران مرّا بالقرب من بيت نبي الله شموئيل.

فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبيِّ فسألناه عن ضالَّتنا ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير؟.

فقال له: نعم.

فدخلا عليه، فبينما هما عنده يذكران له ما فقدا، حتى عرفه النبي، إنه هو الملك الذي أراده الله ليسوس أمر بني إسرائيل.

فابتدره النبيُّ قائلاً له: أمرني ربِّي أن أملِّكك على بني إسرائيل.

فقال طالوت: أنا؟

فقال: نعم.

قال: أَوَ ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل؟

قال: بلى.

قال: أَوَ ما علمت أن بيتي أدنى بيت في بني إسرائيل؟

قال: بلى.

قال: فبأي آية؟

قال: بآية أنَّك ترجع وقد وجد أبوك الحيوانات التي فقدها، فكان كذلك.

ثم اجتمع النبيُّ شمويل بسادة بني إسرائيل.

وسأل بنو إسرائيل نبيَّهم أن يريهم آية تدلُّ على صدق دعواه بما أوحى الله إليه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248].

وما إن خرجوا من اجتماعهم، حتى رأوا التابوت قد وضع على عربة تجرُّها الملائكة قد اصطفت بالقرب من مقرّ اجتماعهم.

ساعتئذٍ أذعنوا للحقّ وقبلوا بطالوت ملكاً عليهم.

أمر طالوت بني إسرائيل بالقتال:

تسلَّم طالوت مسؤولية القيادة، وشرع في بناء قاعدة عسكرية يستطيع بها مواجهة خصمه وعدوّ بني إسرائيل الأوَّل والذي يدعى جالوت، وكان يتمتَّع هذا الأخير بقاعدة عسكرية عالية الكفاءة، لا يمكن الاستهانة بها، إذ ارتكزت على جيش قوي وسلاح فتَّاك.

ولم تكن القوَّتان متعادلتين. ولكن الله أراد أن يمنح بني إسرائيل فرصة للنصر، بإعداد العدَّة للقاء الأعداء ما استطاعوا لذلك سبيلاً،

ومتوكِّلين على الله إن كانوا مؤمنين، باتِّباع إرشادات ملكهم طالوت في كل ما يقوله لهم، ويأمرهم به.

وفي أثناء الإعداد للمعركة أعلن طالوت بين جنوده أن من يقتل جالوت، فسيكافئه مكافأتين:

إحداهما: نقدية.

والثانية: بأن يصاهره ويزوِّجه ابنته.

وتمَّ إعداد العدَّة للقاء العدوِّ وتهيَّأ الجيش للمسير، وقام طالوت بمخاطبة جنده قائلاً: سنسير على بركة الله، وأخبرهم أنَّ الله مبتليهم بنهر وعليهم أن لا يشربوا منه أبداً، وأنَّه لم يسمح لهم بذلك، ولكنَّه يعفو عمن يغترف غرفة بيده. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 249]. وقيل: إن النهر هو نهر الأردنّ.

ولما سار طالوت بالجنود إلى حيث الأعداء، مرُّوا بطريقهم بهذا النهر. ولكن العطش دَبَّ بالجنود، فشرب أكثر الجيش ولم يمتثل لأمر الله إلا القليل منهم.

وسار طالوت بهذه الفئة القليلة التي بقيت من عدد الجيش الجرَّار، إلى أن وصلوا إلى حيث جنود الأعداء، وعلى رأسهم ملكهم جالوت الذي اشتهر بقوَّته في المنطقة.

وإذا بطالوت يفاجأ مرَّة أخرى بهؤلاء القلَّة، إذ تراخت هِمَمُهم وهبطت عزائمهم عن تنفيذ أمر الله وقالوا لملكهم طالوت: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: 249].

غير أن هناك قسماً من هذه القلّة ثبتوا على عزيمتهم، وقالوا للذين تراخوا من بني جلدتهم عن تنفيذ أمر الله: إنَّ النصر سيكون حليفنا بإذن الله، وإنَّ العبرة ليست بالكثرة. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

وحان الوقت الحاسم لبدء المعركة. وجرت العادة قبل البدء بالقتال أن يصطفَّ الفريقان في مواجهة بعضهما. ويأتي مبارز من كلا الفريقين ويتبارزان. فإذا ما انتصر أحدهما على الآخر، تفاءل الجند بالنصر وقام فريقه بمبادرة القتال، وغالباً ما يكون النصر حليف هؤلاء.

ولما كان على رأس الأعداء ملكهم جالوت الذي اشتهر بالشجاعة والإقدام والجبروت، فقد تقدَّم جنده وطلب المبارزة من أحد جنود طالوت. فهابه جنود بني إسرائيل، ولم يجرؤ أحد على التقدُّم. فما كان من شابٍّ صغير اسمه داود إلا أن تقدَّم، ولصغر سنه بين هذه الجموع احتقره جالوت وقال له: ارجع فإني أكره قتلك.

فقال له داود: ولكنّي أحبُّ قتلك.

وانبرى داود للمبارزة، وكان له خبرة باستعمال المقلاع. فوضع في مقلاعه الذي كان يحمله حجراً قويًّا وأداره في الهواء عدَّة دورات وقال: باسم الله أرمي . . وباسم الله أصيب . . وما هي إلا لحظات . . . وإذا بالحجر يخرج من مقلاع داود . . . وينطلق بإذن الله . . . ليستقرَّ على رأس جالوت يَشجّه، ويرديه قتيلاً.

وما إن رأى ذلك بنو إسرائيل حتى قويت عزيمتهم، وانطلقوا يقاتلون أعداءهم، الذين جبنوا عن القتال، بعد أن رأوا ملكهم قتل،

فهزموا شر هزيمة، وتحقق ثبات المؤمنين بإيمانهم وعزيمتهم. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: 250-251].

داود ملكاً:

بعد هذا الانتصار الساحق الذي أحرزه الجنود المؤمنون على أعدائهم، وبعد أن قتل داود جالوت الظالم عاد الجميع مكلَّلين بالنصر المبين. ووفى طالوت بوعده وزوَّج ابنته من داود.

وبعد وفاة طالوت تولَّى داود الملك على بني إسرائيل. وما إن بلغ أربعين عاماً، حتى آتاه الله النبوة مع الملك، وأرسله رسولاً إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الزبور الذي يشتمل على الكثير من المواعظ والحكم والأذكار.

وتميَّز نبيُّ الله داود بالصوت الجميل، فكان إذا قرأ الزبور تكفُّ الطيور عن الطيران. حتى أصبح صوته مضرب الأمثال، ويقال عن الصوت الحسن: صوت يرمي الطير أسوة بصوت داود.

وكانت الجبال تسبح معه بأمر الله سبحانه. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: 18-19]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: 10].

مميزات داود:

حبا الله نبيه داود بعدة مميزات بالإضافة إلى المُلْكِ والنبوة حتى قال عنه الرسول محمد ﷺ: إنَّه كان كثير العبادة لله، وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويقضي جزءاً كبيراً من نومه في مصلاَّه، وكان ذا قوَّة على الطاعة والعبادة والعمل الصالح. ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ[1] إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: 17].

وقال عنه الرسول ﷺ: «**أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحبُّ الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً**»[2]... ونبي الله داود كان يأكل من عمل يده.

ومن الممكن إيجاز المميزات التي منَّ الله بها على نبيه داود بما يلي:

1 - أنزل عليه الزبور ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55].

2 - قوَّى ملكه وجعله منصوراً على أعدائه مهاباً في قومه: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [صٓ: 20].

3 - آتاه الحكمة والنبوة وفصل الخطاب. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ[3] وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ[4]﴾ [صٓ: 20].

---

(1) الأيد: القوَّة في الطاعة والعبادة.
(2) ذكره مسلم في صحيحه.
(3) الحكمة هي: الإصابة في الأمر.
(4) فصل الخطاب: إصدار الحكم الملزم المقنع المُسَلَّم به من الجميع.

4 - تسخير الجبال معه يسبحن بكرة وعشيًا. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18].

5 - ترجيع الطير معه كلما قرأ الزبور ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19].

6 - إلانة الحديد له فكان بين يديه كالعجين يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10]، ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ(1) وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ(2)﴾ [سبأ: 11].

7 - علَّمه صناعة الدروع لدرء خطر الحرب وهو أول من استعملها، وكانت قبل ذلك صفائح. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: 80].

8 - القوة في العبادة وشدة الاجتهاد. ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17].

داود قاضياً:

هناك قصتان تناولهما القرآن الكريم في هذا الخصوص واحدة كانت مع داود فقط، والأخرى كانت مع داود وبرفقته ابنه سليمان.

والقصة الأولى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا

(1) سابغات: دروع طوال تغطي البدن.

(2) وقدّر في السرد: أي لا تجعل المسامير دقاقاً فتعلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق.

بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: 21-24].

وتفصيل القصّة أن داود قسّم أيامه، فجعل يوماً للعبادة وقراءة الكتب، ويوماً للقضاء بين الناس، ويوماً يقومه لحاجة نفسه وعياله.

وفي أحد الأيام التي كان يخلو بها لحاجة نفسه، دخل محرابه على عادته. وبينما هو يصلي، إذ دخل عليه ملكان في صورة اثنين من الناس، فالملائكة تستطيع أن تتشكل في صورة إنسان.

وصعد الاثنان سور المحراب فظنَّ بهم سوءاً وخافهما. وهدءا من روعه، وقالا: لا تخف. وإنّما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض وقد أتيناك لتحكم بيننا بالحق.

وقال أحدهما: إنَّ أخي هذا له تسع وتسعون نعجة - أنثى الخروف - ولي نعجة واحدة و طلب منّي أن يتملّكها ويضمّها إلى نعاجه.

وأجاب داود على الفور، وقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: 24]. ولما علم أنّهما ملكان ظنَّ أنَّ هذا ابتلاء له من الله ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24] إليه بالتوبة، لأنه رأى أنه أسرع بالحكم قبل سؤال المدّعى عليه. إذ أنّه من المعروف أن على القاضي السماع لأقوال المتخاصمين قبل إصدار أي حكم. وهو قد استمع إلى واحد دون الآخر.

وربَّما أيضاً كان استغفاره أنَّه ظنَّ سوءاً بالملكين، إذ أنَّهما لم يدخلا عليه من الباب، بل تسلَّقا السور، أو لأنَّه لقيهم في يوم غير يوم القضاء الذي جعله مخصَّصاً للفصل بين المتخاصمين من الناس.

والقصَّة الثانية: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: 78].

ومفادها أنَّ الرجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم، والآخر صاحب حرث.

فقال صاحب الزرع: إن هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي، فلم تبقِ منه شيئاً.

فقال له داود: اذهب فإنَّ الغنم لك، فأعطاه رقاب الغنم بالحرث.

واستأذن سليمان والده داود بأنَّ له وجهة نظر أخرى. فأذن داود لسليمان بالكلام.

فقال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث سنة، فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها، ويبذر صاحب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم. فإذا كان العام المقبل، وصار الحرث كهيئته يوم أكل، فيدفع إلى أهله، ويأخذ صاحب الغنم غنمه. ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 79].

وسُرَّ داود برأي ابنه، وعمل بما قاله الابن. ولم يتعال ويأخذه العجب بنفسه بأنَّه ملك ونبيٌّ وقاضٍ؛ بل أذعن لقبول الحق لما رآه من إصابة ابنه في الرأي.

وفاة داود:

كان عهد داود من أفضل العهود التي شهدها بنو إسرائيل. ودام ملكه فيهم أربعين سنة إلى أن توفّاه الله عن عمر يناهز المئة عام. والله تعالى أعلم.

العبر من قصّة داود:

يؤخذ من قصّة داود عدّة عبر، منها:

1 - إنَّ الله يهب ملكه من يشاء من عباده، وذلك أنَّه وهب طالوت الملك وهو الفقير في قومه وهذا غير ما اعتاده بنو إسرائيل.

2 - ربَّ ضارَّة نافعة، فقد ضاعت غنم طالوت ليصير ملكاً.

3 - مَيّز الله طالوت بالعلم والجسم. وهما أداة الملك، فإنَّ الملك يستطيع أن يأتي بالمال إذا كان عالماً قويًا.

4 - العلم خيرٌ من المال، لأنَّه يحرس الإنسان، بينما الإنسان هو الذي يحرس المال، والعلم فيه شرف ما بعده شرف.

5 - عدم الاغترار بالنفس، لأنَّ ذلك كثيراً ما يؤدي بصاحبه إلى الهلاك كما حصل مع جالوت الذي اغتر بقوته وجبروته.

6 - يبتلي الله عباده بما يدلُّ على صدقهم وثباتهم والتزامهم. وما النهر الذي ابتلي به قوم طالوت إلا مثالاً على ذلك.

7 - أنَّ الله تعالى قادر على كل شيء، وذلك يظهر بعودة التابوت لهم بعد أن فقدوه في المعركة السابقة.

obeikandl.com

8 - قيمة الإنسان ما يُحسنه ويأتي به من العمل، لا في مظهره الخارجي.

9 - يجب إعداد العدَّة للمعارك والتوكُّل على الله وأن يكون إخلاص الجند لله تعالى بقلب صادق، وأنَّ النصر سيكون حليف من ينصر الله فيثبت قدمه كلما استعان العبد المقاتل بالله، كما قالت الفئة القليلة المؤمنة ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 250].

10 - يجب التحلِّي بالحكمة والصبر في المواقف الصعبة، وأن يستمع الإنسان إلى من يأخذ رأيه بأمر أو مشورة ما. وإن كان الأمر بين اثنين عليه أن يستمع إلى كلا الطرفين، قبل أن يأخذ مبادرة الحكم في القضية المطروحة أمامه. وهذا ما تنبه له نبيُّ الله داود عندما ندم على اتِّخاذ القرار وسمع لأحد المتخاصمين لديه.

11 - أن لا يغترَّ الإنسان بنفسه مهما آتاه الله من النعم ويذعن للحقِّ عند سماعه، وهذا ما فعله نبيُّ الله داود عندما عمل بحكم ابنه سليمان حينما حكم في قضية الحرث والغنم.